Rimak International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717- 8293

Research Article January 2022 Volume: 4 Issue: 1

THE STRUCTURE OF SYMBOLIZING IN THE NOVEL "TESTIMONY OF WARTIME" IN THE LIGHT OF CHARLES SANDERS PIERCE'S THEORY

Khalid Sulaiman Muhanna ALKINDI[1]

Istanbul / Türkiye
p. 136-151

Received: 05/11/2021
Accepted: 15/12/2021
Published: 01/01/2022

This article has been scanned b
iThenticat No **plagiarism** detected

Abstract:

Symbolizing means the transition from the significance of the phonetic, morphological and syntactic units to the implicated meaning arising from the relations and common knowledge between the interlocutors and the circumstances surrounding them at the moment of the speech. The study seeks to present the symbolizing mechanism presented by Charles Sanders Peirce in the theory of signs, test the value of this mechanism and search for the linguistic structures responsible for symbolizing in the novel "Testimony from Wartime.

Key words: Symbolizing, Bitcoin, Charles Sanders Pierce's Theory, Testimony of Wartime.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.15.10

[1] Dr. , Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman, abuqasimkindi@gmail.com, https://orcid.org/0000-0003-1349-4460

Copyright © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com
Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

بُنَى الترميز في رواية "شهادة من زمن الحرب" في ضوء نظرية تشارلز ساندرس بيرس

خالد بن سليمان بن مهنا الكندي [2]

الملخص:

يعني الترميز الانتقال من دلالة الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية إلى المعنى الاقتضائي الناشئ من العلاقات والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والظروف المحيطة بهم لحظة الخطاب. وتسعى الدراسة إلى تقديم آلية الترميز التي قدّمها تشارلز ساندرس بيرس في نظرية العلامات، واختبار قيمة هذه الآلية والبحث عن البنى اللغوية المسؤولة الترميز في رواية "شاهد من زمن الحرب".

الكلمات المفتاحية: الترميز، نظرية العلامات، المسكوت عنه.

المقدمة:

يفرق الناقد والمفكر الفرنسي تزفيتان تودوروف بين العلامة والرمز، فيجعل العلامة دالًّا لغويًّا يَفْهَمُ منه المتلقي الدلالة الحرفية التي تقوده إليها وِحْدات النص الصوتية والصرفية والتركيبية، ويجعل الرمز دالًّا لغويًّا أو غير لغوي يقود إلى المعنى (المسكوت عنه) لخطاب تتعاون فيه الوحدات اللغوية مع أعراف المتخاطبين والمعرفة المشتركة التي بينهم وظروف المقام (تودوروف، 2017، ص40-43). وهكذا تكون عملية الترميز عنده مساوية لإنتاج المسكوت عنه.

وقد اجتهد مؤسس الفلسفة الذرائعية الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندر بيرس (1839-1914م) في الدعوة إلى علم جديد يكون مجالُه دراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية؛ سمّاه Semiotics (السيميائية)، مستعينًا بما تراكم عنده من معرفة بالمنطق والفلسفة وغيرهما، ولكنه مات قبل أن يَجْمَع أفكاره النظرية في كتاب مستقل، فجُمِعَت أعمالُه على مرحلتين، أُولاها بين عامَي 1931-1935م، وأُخْراها عام 1958.

وغايتنا في هذه الدراسة البحث في نظرية بيرس عن البنى المسؤولة عن صناعة الترميز بمفهومه الذي قدّمه تزفيتان تودوروف، ثم ضرب الأمثلة على هذه البنى من رواية "شهادة من زمن الحرب" الصادرة عام 2015 للكاتب العماني محمد العريمي، مع بيان القيمة الفنية لهذه البنى الرمزية.

[2] د. ، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، abuqasimkindi@gmail.com

Volume: 4 Issue: 1

المبحث الأول: مضمون رواية "شهادة من زمن الحرب":

أُخِذَ محتوى الرواية من اعترافات شاب عُماني اسمه ماجد عاش أحداث سقوط كابل على يد حلف الناتو، وأدلى بشهادته على ابن أخته العبد بن سالم مُوصيًا بنشر ما قاله كما هو، وبعد وفاة ماجد اقتنع الروائي العماني محمد العيد بأن سيرة ماجد في أفغان ينبغي أن تُنشَر في رواية، وحفاظًا على وصية ماجد جعل الروائي ما قاله ماجد بخط غامق، وجعل ما أضافه إلى سيرته من تفصيلات حقيقية أخذها من العبد بن سالم أو تصوّرها بخياله بخط مائل.

ماجد من أسرة مَشْيخة في ولاية صُور في عُمان، هاجر إلى لندن ليدرس في إحدى جامعاتها؛ لكنه انغمس في مراقص الفنادق الفاخرة وحانات الأزقة الضيقة، وكان يغشى مقهى جعيتا للّبناني أبي سليم في شارع "إيدجور"، ومنه أقام علاقة غرامية مع نادلة سويدية اسمها أنجي، ورغم تحذيرات إدارة الجامعة لطلبتها من الدخول في الأحياء الفقيرة التي خلفها فإن ماجدًا غامر مرة بالدخول ورأى شابًّا عربيًّا مطعونًا بسكّين اسمه راشد، فاتصل بالشرطة، فجاءت وحملت المطعون، وسجّلت بيانات ماجد، ثم زار راشدًا في المستشفى وتعرّف على أخيه الملتحي أبي محمد، وهو طالب يحرر ماجستير في الاقتصاد والسياسة، فدعاه أبو محمد إلى الصلاة في مصلى المستشفى، ثم كرّر زيارته لراشد وتعرف على أصدقائه الكويتي البخيل المتدين سعود، والبحريني محمد المتخصص في الإنجليزية، والفلسطيني ياسين المتخصص في الترجمة، ثم صار يزورهم في الشقة وأدرك تشدّد سعود ودماثة ياسين.

ياسين يعرف لغة الأوردو لأن أمه باكستانية وُلِدت في بريطانيا، وبحكم تعامله مع الهيئات الدبلوماسية عمل في وكالة الأونروا لغوث الفلسطينيين وتعرّف قياداتهم، ويقرأ أعمال المتنبي وحسن البنا، وكان محمود جدُّ ياسين من قرية العباسية في فلسطين –التي سمّاها الاحتلال يهودا، ثم هرب من عصابة الهاغانة الصهيونية إلى جنوب لبنان، وحصل طه بن محمود على منحة دراسية من الجامعة الأمريكية، ثم عمل في السفارة البريطانية في الكويت، وتزوج من الباكستانية كوثر، ثم غادرا إلى جنوب لبنان ثم إنجلترا وأنجبا ياسين، ثم عمل طه في صحيفة عربية بلندن ورزق البنت شمس، وقُتِل في مذبحة صبرا وشتيلة وهو يغطي مشاهد اجتياح الجيش الصهيوني والميليشيات المسيحية مخيمات اللاجئين الفلسطينيين (العريمي، 2015، الفصل1).

بعد انهيار البرجين في 11 سبتمبر 2001حرّضت أمريكا على الهجوم على العرب والمسلمين، وقررت غزو أفغانستان، وأبلغ ياسين ماجدًا أنه عضو في جمعية الخلاص المعنية بغوث المسلمين، وشرح له فضل طالبان في إعادة اللحمة بين لوردات الحرب الأفغان بعد خروج الاتحاد السوفييتي، وبفضل ياسين ترك ماجد حياة الفحش، وشجّع ياسين بقية زملائه على دعم الجمعية، فوافق راشد على الإسهام بماله، واختار سعود أن يتصرف وحده، وتابع ماجد أخبار أفغانستان، وقرأ في إصدارات جمعية الخلاص وقد أحضرها له ياسين؛ حتى اقتنع بالانضمام إلى الجمعية، وعادت به الذاكرة إلى بندقية "أم عشر" المعلقة في مجلس والده الملقب بالشيخين؛ لأنه حصل على مشيخة القبيلة بعد وفاة والده وعلى مشيخة العلم من المدرسة الصولتية في مكة. وفي مطار إسلام أباد تدخل صديق لياسين في إنهاء إجراءات سفر ماجد إلى أفغانستان، ولاحظ ماجد بعد انضمامه إلى المجاهدين الراغبين في الذهاب من باكستان إلى أفغانستان أنهم من جنسيات متعددة، فأقام في روالبندي في غرفة مع سوداني وليبي أو موريتاني، ثم نقلتهم حافلة إلى بيشاور في باكستان، وأقاموا في مخيم خيبر قرب أفغانستان برعاية أعضاء جمعية الخلاص، ثم مضت الحافلة في طرق وعرة شاهقة بين هندوكوش، وكان جوارَ ماجد صحفي بريطاني اسمه توم آشلاند، له معرفة واسعة بالإسلام لأنه درس في الأزهر، وغطّى انتفاضة الأقصى الثانية ضد شارون (السابق، الفصل2).

في أفغانستان أصبح ماجد في جيش الخلاص لا في جمعية الخلاص، واختار له اسمًا جهاديًّا هو سعد العشيرة، وعلموا أنه لا يُجيد استعمال السلاح فكلّفوه بالدعم اللوجستي وتضميد الجراح، وسأل مدير المعسكر كل مجاهد عن سبب قدومه، وشرح لهم أن مهمة جيش الخلاص حماية قوافل الإمداد الباكستانية إلى طالبان من لوردات الحرب، وعلم ماجد أن الأفغان في الشمال يكرهون العرب بسبب أن العرب قتلوا أحد لوردات الحرب بعد أن سطا على قافلة تغذية، واستردوها منه. تعلم ماجد أسس

الإسعاف الأولي على يد الطبيب البوشناقي يوسف (أو كاظم الأسى في رمزه الجهادي)، وحدّثه عما فعله الصربيون بالتعاون مع الأرثوذكس من قتل وتعذيب للرجال والنساء المسلمين، ثم جاءت ثلاث سيارات محملة بالبنادق والرشاشات، ونزل منها ثلاثة أشخاص أحدهم أبو محمد شقيق راشد، وتبيّن أنه زوج عين زادة أخت الطبيب يوسف، وألهب أبو محمد الحماس في الرجال مبيّنًا أنهم يدافعون عن أوطان الإسلام، وليسوا هم المعتدين (السابق، الفصل3).

أبو محمد قائد كتيبة استطاعت تحرير نساء بوشناقيات منهن عين زادة أخت يوسف، ثم أسس جمعية لمساعدة الأسر المهجرة، وتزوج عين زادة بعد أن قتل الصربيون زوجها أمام عينيها لما ثار عليهم حين لمسوا بطنها الحامل، وأنجبت عين زادة ابنها محمدًا بشعر أشقر وبشرة سمراء. لم يرتح ماجد من محاربة طالبان للطوائف الإسلامية وحمايتها لأسامة بن لادن، وتضايق من وظيفة التمريض لأنه كان متفقًا مع ياسين أن يكون دوره مقاتلًا، وزاده ضيقًا أن الطبيب يوسف كان يهذي في أوقت كثيرة. كانت حركة طالبان تسيطر على كابل، وطلبت من جيش الخلاص أن يتولى الدعم اللوجستي ويكون خلف جيش طالبان في شمال كابل بين عربات كثيرة مموّهة؛ على حين يبقى جيش طالبان أمام مواجهة الناتو في الشمال الذي توقعت الحركة مجيء الحلفاء منه، لكن الناتو لم يكن يفرق بين العسكريين ورجال الإسعاف والدعم اللوجستي، وكان الاستشهاد أحب إلى المجاهدين من الأسر والتعذيب على يد الحلف. يذكر ماجد سوء تعامل الأفغان مع العرب، وأن حلف الناتو الحاقد على العرب ضغط على البوشناقيين في اتفاق السلام مع صربيا على سحب جنسيات المجاهدين العرب، ما جعل هؤلاء العرب معلقين غير قادرين على البقاء في البوسنة والهرسك ولا العودة إلى أوطانهم المتواطئة مع الأمريكان في حربها المزعوم ضد الإرهاب، ولذا تدخلت جمعية الخلاص لخدمة المجاهدين العرب. كانت إدارة جمعية الخلاص قد استأجرت منازل في شمال كابل لتكون مخازن للإغاثة، وكان من بين هذه المنازل منزل حاجي علي. وحاجي علي أحد المجاهدين الأفغان ضد السوفييت، وقد خرج من الحرب مبتور الرجلين فاقدًا لأسرته بصاروخ روسي؛ وكره لوردات الحرب لأنهم أفسدوا الجهاد، وحولوه إلى حرب طائفية راح ضحيتها المجاهدون، ولم يبق له إلا صبي صغير اسمه وحيد (السابق، الفصل4).

شنّت أمريكا هجومًا عنيفًا على مواقع طالبان والمدنيين، ودلّ وحيد ماجدًا وأصحابه على سرداب للهرب من القصف، وأصرّ والده على البقاء خارج السرداب، وكلما انفجرت قذيفة قريبة من البيت خرج وحيد يتفقد أباه لكن أباه كان ينهره. شمل التدمير البيوت، وأعمدة الاتصالات، ومحطات الكهرباء، ومراكز القيادة العسكرية، والمؤسسات العامة، وغرف العمليات؛ لكن الأفغان شعب لا يعرف الاستسلام. كانت غارات الحلفاء الصباحية تضرب قوات طالبات البرية في شمال كابل، وفي الليل تطلق الطائرات الأمريكية بالونات حرارية لتظليل مضادات طالبان، ورغم كثرة القصف صعد الأفغان فوق بيوتهم تاركين خوفهم وتضرعوا إلى الله، ولم تستطع العيادة استيعاب الجرحى، وتراجع جيش طالبان إلى المدينة تاركًا شمالها، وفرّ المدنيون نحو قندهار على حالة من الإعياء والصراخ والعَوَز، وحاولت طائرة الأباتشي البحث عن العيادة واستهدافها، وأطلقت صاروخًا سقط على بيت قريب من العيادة كان يملكه مصريان لا علاقة لهما بحرف الطوائف، وتناثرت أشلاء أفراد أسرتهما، واستهدف طيّار أمريكي أسرة كانت تقل بيك أب، وأصيب الصحفي الإنجليزي عبدالله آشلند، ولقّنه ماجد الشهادة (السابق، الفصل5).

سقطت كابل في يد الحلفاء، وفقدت قيادات طالبان تواصلها، وفقد أعضاء جيش الخلاص تواصلهم أيضًا؛ لكن بقي معهم راديو علي حاجي يسمعون منه آخر التطورات، واستشهد نزار الشيشاني، ولما تراجع المجاهدون كثّفت قوات الناتو القصف، وهرب القادة كالعادة تاركين المجاهدين يواجهون مصيرهم؛ لكن الملا عمر زعيم طالبان طالب المجاهدين بالصمود، وبثّ للمجاهدين خبر بقائه هو وأسامة بن لادن، في الليل وصلت قوات الناتو مركز بابل، ومشّطت طائرات الأباتشي جنوب كابل لملاحقة الفارين، وانضم إلى السرداب فتى خليجي اسمه وليد لا يتجاوز العشرين، وعليه رداء صوف ممزق، وقال إنه متطوع من منظمة طبية، وشعر ماجد أنه لم يُفِد المجاهدين شيئًا، فأقصى ما كان يفعله تلقينهم الشهادة، ولامته نفسه على العبثية التي دفعته إلى هذه الحال. ظلت طائرات الأباتشي تقتل من تشاء بلا مبالاة، والمرتزقة يبلّغون الأمريكان بأماكن المجاهدين، ووصل الجنود

Volume: 4 Issue: 1

عيادة علي حاجي، لكن عليًّا حاجيًّا لم يدُلّهم على شيء، وخَشِي المندسون في السرداب من أن يفتك الجنود بعلي فخرجوا، وكان من الجنود طاجيكي من شمال أفغانستان حاقد على العرب وطالبان، فأخذ يدوس جسد علي ليعترف بمشاركته في الحرب؛ لكن عليًّا لم يعترف، وتدخل شاب اسمه خالد بشرح مهمة الفريق الطبي باللغة البشتونية، وأغرى الطبيب يوسف الطاجيكي بمال مقابل إخراج الفريق إلى حدود باكستان، وعلّم الطبيب وحيدًا كيف يعالج والده، وهمس في أذن علي حاجي بمبالغ خبّأه في جدار العيادة مكافأة له على إخلاصه، واستولى الطاجيكي على محتويات العيادة وهدّد عليًّا بالقتل إذا أفشى بفعلة الطاجيكي، وقيّد الطاجيكي الفريق الطبي ليبدوا أسرى في نظر الميليشيات الطاجيكية، وكان جنود الطاجيكي يضربون أحيانًا الفريق الطبي إمعانًا في التمويه، وكان الطاجيك حاقدين أكثر على العرب لأن العرب هم من قتل قائد الطاجيك أحمد شاه مسعود، وتعرّض المجاهدون العرب لخيانة الأفغان من طالبان، فقد سلموهم لقوات الناتو (السابق، الفصل6).

صرّح الفتى الخليجي وليد أن اسمه الحقيقي خالد، وأنه جاء للبحث عن والده المجاهد في أفغانستان بعد أن بلغهم خبر وفاته؛ فوجد أباه حيًّا لكنه فاقد لعقله نحيل الجسد بسبب سوء معاملة طالبان له، وقرر أن يبقى معه في المستشفى إلى أن يُشفى، وتعلم خالد لغة البشتو ليحسن مناقشة قادة طالبان، حتى عرض عليه قادة طالبان أن يعمل معهم في التعاون الخارجي (الاتصال بالعرب وغيرهم)، فرفض لكراهته الانخراط في حرب الطوائف، وأوضح له عدم تقدير الأفغان للعرب، ثم عرضوا عليه العمل في العلاقات الاقتصادية مع العرب، وشاور عبدالرؤوف طبيب والده، فشجعه، وحكى له عبدالرؤوف أن والده أُرْغِمَ على فعل مُهِين لكرامته، ففقد عقله وذاكرته، ثم تعرّض للقتل والتمثيل حتى إن من تعرّفه إنما تعرّفه بإصبعه. إن الأفغان كانوا يرتكبون في الأسرى العرب أبشع أنواع التعذيب: الكيّ، قلع الأسنان والأظافر، انتزاع فروة الرأس، الخِصاء، الاغتصاب، تشويه الأجزاء الظاهرة من الجسد، التجويع، أكل لحام رفقائهم المعذبين بعد سلق الجثة أمام أعينهم. ونقل خالد والده إلى سكنه حتى توفي، وعندما أراد البحث عمن يساعده في غسله ودفنه قصفت قوات الناتو السكن فتحول إلى مقبرة لجثة والده (السابق، الفصل7).

بعد أن تسلل ماجد وأصحابه إلى باكستان عبر جبال هندكوش سيرًا على الأقدام ناموا في كهف، ثم سَرَوا إلى حياة أباد فباتوا في مسجد، وفي الصباح وقعوا في قبضة العسكر الباكستاني، وأدخلوهم في سجن من الأسمنت فيه 16 معتقلًا عربيًّا جريحًا، وسبب اعتقالهم أنهم كانوا في الخطوط الأولى لمواجهة الناتو، ثم وقعوا في كمين، ولكنهم تمكنوا من خطف 3 ضباط من الناتو فاشترطوا شروطًا على الناتو إن أرادوا سلامتهم، ولأن في كتيبتهم باكستانيين فقد طلب الناتو من الحكومة الباكستانية التدخل والتفاوض مع الكتيبة، واتفقوا على تسليم الضباط مقابل أن تعالج باكستان أفراد الكتيبة الجرحى وتؤمن إطلاق سراحهم، ولكن القوات الباكستانية سجنت كل من اعترف بأنه شارك طالبان. ومن هؤلاء المعتقلين العرب يمني أهمل والده تربيته بعد أن تزوج والده فتاة صغيرة، وعمل اليمني في مطعم فلم يعطه أجرته، ثم توطدت علاقته بإمام مسجد فشجعه وجماعة آخرين على الجهاد (السابق، الفصل8).

كان ياسين الفلسطيني قد لقّن ماجدًا ماذا يقول لو وقع في الأسر، فلما حقق مع الباكستانيين أخبرهم ما وصّاه به ياسين وهو الاعتراف بعلاقته بياسين وإنكار علاقته بأبي محمد، واتفق ماجد مع الطبيب يوسف على أن يقولوا المعلومات نفسها، وأما خالد فأخذه الباكستانيون ولم تره المجموعة بعد ذلك. كان في سجن التحقيق شيخ يتخول المجموعة بالموعظة الحسنة، ولكن زُجّ إلى السجن أسرى من قاعدة أقامها حلف الناتو اسمها باجرام، وحَكَى هؤلاء الأسرى عن ألوان العذاب التي أريد منها نزع اعتراف منهم بما لم يفعلوه، مثل الصعق الكهربائي، والضرب بالكرابيج في المناطق الحساسة من الجسم، والتعليق من الساقين، وقلع الأظافر، وغمر الرأس بالماء حتى يشرف على الموت، والحرمان من دورات المياه، وتسليط الأضواء طوال الوقت على الوجه، وإسماع السجين صراخ السجناء بمكبرات الصوت، وتثليج الزنزانة. وحُقِّق ثانية مع ماجد فلم يعترف بعلاقته بجيش الخلاص، وسألوه عن عُمان، وعندما طلب مكالمة ليتحدث مع أسرته في عُمان سخر منه الضابط شوكت الباكستاني، وقال إنه سيحقق معه ثالثة ليعرف أكثر عن ياسين وإلا فسيعرض ماجدًا لتعذيب الأمريكان، وجاء جنود أمريكان وأخذوا يوسف، وحقق شوكت مع ماجد

مرة ثالثة، وهدّده بأنه سيسلّمه للأمريكان بتهمة علاقته بابن لادن أو للطاجيك بتهمة أنه عربي؛ لكن ماجدًا لم يعترف بشيء جديد، وفي التحقيق الرابع حقق معه أمريكي يرتدي زي رعاة البقر اسمه سام في ردهة فيها مختلف الجنسيات، وسأله إن كان يعرف الإنجليزية ولم يكن ماجد يعلم أن ملف دراسته في بريطانيا كان عند سام، فقال إنه يفهمها لكن لا يحسن التحدث بها، واصطنع عبارات مكسرة ليعتقد ذلك مثل (I kill no one)، ثم أحضر سام مارجمًا لبنانيًّا خبيثًا كلما ترجم كلام ماجد أضاف أمورًا لم يقلها ماجد، حتى تعارك معه ماجد وضحك الأمريكي، وأصر ماجد على عدم وجود ما يدينه (السابق، الفصل9).

أُخْرِج ماجد من السجن، ووضع في غرفة نوم مريحة، فاغتسل، وقضى صلواته، ثم أدخل غرفة تحقيق، وظل غافيًا فيها حتى أيقظه صوت ارتطام بالطاولة، ورأى شوكت يتصفح أوراقًا ثم رفع السماعة، وأخذ يسأل ماجدًا أسئلة تأتيه من الهاتف عن الأماكن التي جمعته بالطبيب البوشناقي، ثم صرخ أمام شوكت أنه جائع ليسمعه من هم جوار غرفة التحقيق، فأحضروا له الأكل وهم يراقبونهمن خلف زجاج معتّم، ثم أخرجوه، ثم أدخلوه غرفة مظلمة وهجم عليه شوكت وسام وعبده وهو نائم؛ لكن جاء اثنان أنيقان ووقفا خارج الغرفة الموصدة وطلب أحدهما من سام فك القيد لكنه رفض فأجبره على الاتصال بالمسؤولين. كان الرجلان من عُمان وتحدّثا من خارج الغرفة إلى ماجد أن الباكستانيين والأمريكان يسعون لإلصاق تهمة الإرهاب به، وأنهم زعموا أن الطبيب يوسف اعترف بأنه درب ماجدًا في جيش الخلاص، ولكن ثقة ماجد بيوسف خلّصته من التهم، وبقيت تهمة واحدة هي التسلل إلى باكستان عبر أفغانستان، وكشف العمانيان لماجد عن هويّتهما عندما قالا له "الحغيغية" بدلًا من الحقيقة، وأخبراه أنهما حريصان على مساعدته، وعندما رفض سام فتح الباب للعمانيين فتح أحدهما الباب عنوة وأطلق النار، فأصاب بالخطأ كتف ماجد فأغشي عليه، وبعد الإغماء استيقظ ماجد بصوت شوكت وهو يطمئنه بأنه سيغلق ملفه؛ لكنه أحضر ورقة كان ماجد قد كتبتها وهو في سرداب علي حاجي عن دوره في علاج المرضى في الحرب، وطلب منه إعادة كتابتها ليتأكد من تطابق الخطين، ثم أطلق سراحه وسنحت له الفرصة لتوديع الشيخ حامد، ولقي خارج السجن العماني سالم بن مسعود ينتظره لمرافقته إلى إسلام أباد لتهيئة عودته إلى عمان، وركب سيارة فارهة يمسك بمقودها شاب بنظارة سوداء ولم يكلمه حتى وصلا إسلام أباد، وسلّمه الشاب غرفة في فندق ونقودًا لشراء ملابس والاتصال بأهله، وهكذا عاد ماجد إلى عُمان (السابق، الفصل10).

Volume: 4 Issue: 1

المبحث الثاني: العلامات عند تشارلز بيرس وعلاقتها بالترميز:

إن أيسر تعريف قدّمه بيرس للعلامة sign هو قوله: إنها "أيُّ شيءٍ يُمثِّل موضوعًا [أي ينوب عنه] بأية طريقة" (Peirce, 1902, 599:28-36)، ولفظُ (أيُّ شيء) يشمل العلامات اللغوية وغير اللغوية، وأما الموضوع object أو المحال إليه the denoted thing فهو ينطبق على أي شيء يمكن الحديث عنه أو التفكير فيه، سواء كان له وجود في العالم أو ليس له وجود. ولا ينبغي أن يُفْهَمَ من تمثيل العلامة للموضوع أنها تُشير إليه وحده؛ بل لها "ثلاثة أدوار إشارية، أولها أنها علامة على فكرة تفسر هذه العلامة؛ وثانيها أنها علامة لموضوع معادل لتلك الفكرة؛ وثالثها أنها علامة -في بعض الجوانب أو السمات المميّزة qualities- تجعل الفكرة على اتصال مع موضوعها" (Peirce,1868, W 2:223).

ويُمْكِننا أن نستخلص جُلّ السمات التي لا تنفك عن أية علامة من حديث بيرس -Peirce,1873, W 3:66 (8)، ونجملها فيما يلي:

1) لا يُعَدّ شيءٌ علامةً حتى يؤوّله الذهن.

2) العلامة شيء مادّي سواء كانت صوتًا مسموعًا، أو كلمة مكتوبة، أو أي شيء محسوس، وتُسمَّى هذه السمة المادية بالمصطلح المنطقي "الفصل" موصوفًا بوصف "المادي: material quality.

3) أن يكون لها صلة بالموضوع الذي تشير إليه؛ حتى يتمكن الذهن من ربطها بموضوعها.

4) كل موضوع أو فكرة يمكن أن يتحول إلى علامة إذا قام بوظيفة النيابة representing عن شيء آخر.

5) وجود علامة يعني وجود علاقة بين ثلاثة أطراف: علامة وفكرة وموضوع.

6) لكل علامة شكل يميّزها أو سمات تميّزها من سائر العلامات، كما هو حال كلمة sign نفسها، ومِن ثَمّ "دعونا نفحص بعض الرموز اللغوية للعلامات على العموم. يجب أن يكون للعلامة فصول [سمات] في نفسها تعمل على تمييزها، ويجب أن يكون للكلمة صوت مميَّز مختلف عن صوت أية كلمة أخرى؛ ولا يُهِمّ كيف يكون هذا الصوت مادام شيئًا مميّزًا. في المقام الثاني، يجب أن يكون للعلامة صلة فيزيائية [مادّية] حقيقية بالشيء الذي تشير إليه بحيث تتأثر بهذا الشيء. إن مؤشِّر الطقس weather-cock –وهو علامة [في صورة ديك] على اتجاه الريح- يجب أن يتحول مع الريح. هذه الكلمة في هذا الصدد هي كلمة غير مباشرة، ولكن ما لم تكن ثمّة طريقة تربط الكلمات بالأشياء التي تشير إليها، وتضمن مطابقتها لها، فلن تكون لها قيمة إن كان يُراد لها أن تكون علامات لهذه الأشياء. كلّ ما لهذين الرمزين اللغويين [يعني weather-cock] هو لائق ليجعلهما علامة. إن [هذا المركب] على الأقل أمارة symptom، ولكنه ليس في الواقع علامة ما لم يُستعمَل على هذا النحو؛ وما لم يُؤوَّل إلى فكرة، ويعرض نفسه للمعالجة الذهنية" (Peirce,1873, W 3:76; CP 7.355-6).

7) العلامة تنتج الفكرة في الذهن.

وثمة سمات أخرى للعلامة وردت في مواضع أخرى من أعمال بيرس، وهي:

1) العلامة وسيط representamen لأنها تنقل المعرفة من مُبلِّغ العلامة إلى مؤوِّلها: "تستلزم العلامة أو الوسيط علاقة جماعية؛ لأن العلامة يمكن تعريفها بأنها شيء يتجسّد فيه عنصر الإدراك ليَنْقُلَ هذا الإدراكَ من فِكْرِ مُبلِّغِ الإشارة deliverer الذي تجسّد فيه الإدراكُ إلى فكر مؤوِّل العلامة interpreter الذي يجب أن يتجسد فيه هذا الإدراك أيضًا" (Peirce,1895, MS [R] 16:12; PM 52). وهي وسيط أيضًا لأنها تتوسط بين الموضوع والذهن فتنقل إلى الذهن فكرة عن الموضوع: ((قد تكون لدينا مصلحة وسيطة في شيء مادام هذا الشيء ينقل إلى الذهن فكرة عن شيء آخر، ومادام يفعل ذلك فهو علامة أو وسيط" (Peirce,1894, EP 2:5; MS [R] 1009).

2) العلامة تنوب عن الموضوع فتثير فكرته في الذهن ثم تصبح الفكرة علامة للموضوع نفسه: "العلامة شيء يعمل على نقل معرفة تُعرِّف بشيء آخر، ويقال عن هذه العلامة إنها تقوم مقام stand off أو تُمثِّل (تنوب عن represent for). ويسمى هذا الشيء الذي تنوب عنه العلامة: موضوع العلامة، أو الفكرةَ التي تثيرها العلامة في الذهن، وتُعَدّ الفكرة أيضًا علامة ذهنية للموضوع نفسه، وتسمى الفكرة أيضًا تأويل العلامة interpretant of the sign"(Peirce,1895 EP 2:13).

3) لا يصير الشيء علامة حتى يأخذه المؤوِّل بعين الاعتبار ويُحْدِثَ في ذهنه علامةً مكافئة: "العلامة أو الوسيط شيء موجّه إلى شخص، وهي تقوم مقام شيء عندما يحصل الاعتبار respect من الشخص لهذا الشيء أو القدرة capacity على فهمه. إنه يخاطب شخصًا، أي أنه يُحْدِث في ذهن ذلك الشخص علامة مكافئة equivalent sign أو ربما علامة أكثر تطورًا. تلك العلامة التي أُنْشِئتْ أسمّيها تأويل العلامة الأولى. العلامة تُحِيل إلى شيء هو موضوعها. إنها تُحِيل إلى ذلك الموضوع لكن ليس من كل النواحي، بل بالإشارة إلى صنف من الأفكار أسمّيه أحيانًا خلفية الوسيط the ground of the representamen. ينبغي أن تُفْهَم "الفكرة" في حديثنا هنا على أنها نوع من الحَدْس الأفلاطوني Platonic sense، وهو حَدْسٌ مألوف جدًا في الحديث اليومي؛ أقصد الحَدْسَ الذي يدل عليه قولنا: إن امرءًا يستحوذ على فكرة امرئ آخر، وكذلك عندما يستطيع امرؤ أن يسترجع فكرة كان قد فكّر فيها فيما مضى، ومِثْلُه عندما يواصل امرؤ في التفكير في أي شيء، ولْنَقُلْ في عَشْر ثوانٍ، مادام تفكيره مستمرًا في وفاق مع نفسِه خلال هذه المدّة، أي أن يكون له محتوى مشابه، أعني الفكرة نفسها، لا أن تتغير فكرته في كل لحظة زمنية فاصلة" (Peirce,1897 CP 2.228).

4) غاية العلامة التأثير: "العلامة هي الشيء المندوب representative أو النائب deputy عن شيء آخر لغرض التأثير في الذهن" (Peirce,1899-1900 MS [R] 142:3).

5) يمكن تشبيه العلامة بالشاحنة أو الحَمّالة vehicle: "إن العلامة هي حَمّالة تَحْمِلُ إلى الذهن شيئًا من الخارج" (Peirce,1893 NEM 4:309-10; CP 1.339).

6) يمكننا أن نعبر عن وظيفة العلامة بقولنا (تُحِيل إلى موضوع)، أو (تحمل معنى)، أو (تؤدي إلى تأويل): "ذلك الذي تقوم العلامة مقامه stand for يسمى موضوعها، وبعبارة أخرى: ذلك الذي تَحْمِلُهُ convey العلامةُ هو معناها، وبصيغة ثالثة: إن الفكرة التي تؤدي إليها give rise العلامةُ هي تأويلُها" (ibid).

وحسب تلك السمات يمكن تيسير تعريف العلامة عند بيرس بأنها: شيء محسوس ينوب عن موضوع، ويثير في الذهن تأويلًا إذا أخذها المؤوِّل بين الاعتبار، وهي وسيط ينقل المعرفة من المبلِّغ إلى المؤوِّل، ووسيط بين الموضوع والتأويل.

الأنواع الرئيسية للعلامة بحسب أنواع الوجود:

تأتي هذه الأنواع الرئيسية نتيجة لرؤية بيرس إلى الوجود على أنه ثلاثة أنواع:

1) الوجود الأولاني firstness

2) الوجود الثانياني secondness

3) الوجود الثالثاني Thirdness

إن كل الحقائق الممكن تحقُّقها قبل أن تُوجَد في الكون هي الوجود الأولاني، فإذا ظهر منها شيء في الكونِ وعالمِ الحقيقة صارت وجودًا ثانيانيًّا، فإذا أراد الإنسان تعرُّف هذه الحقائق التي يراها في عالم الوجود الثانياني فإن قدراته البيولوجية المحدودة وقصور حواسّه الطبيعية تؤثِّر في نظرته إلى هذه الحقائق، فيُفسِّرها عقله تفسيرًا متأثِّرًا بما تُمْلِيه عليه حواسُّه ومعرفته السابقة، وهكذا يكون الوجود الثالثاني عبارة عن حال هذه الحقائق من زاوية نظر الإنسان وتفسيره.

Volume: 4 Issue: 1

فلنأخذ مثالًا على ذلك– الألوانَ، فالألوان حقيقة كونية، فإذا استقرّ لون أحمر في كرسي أنيق صار في الوجود الثانياني، فإذا أوّله الإنسان على أنه لون ملكيّ صار في الوجود الثالثاني.

والكرسي نفسُه هو في الوجود الأولاني عبارة عن مُسْنَد بأرجل من مادة، فإذا وُجِدَ كرسي خشبي بأربعة أرجل في محل بيع أثاث صار من الوجود الثانياني، فإذا فَهِمَ منه الإنسان أنه من كراسيّ طاولة الطعام صار في الوجود الثالثاني.

إن الإنسان في الوجود الثالثاني يجعل كل الأشياء علامات يفهم منها أمورًا أخرى، وهذا ما يسمّيه بيرس التمثيل أو النيابة representation، ولأجل هذا لو تصوّرنا شخصًا بَدْوِيًّا يرى أوّل مرة في حياته الهاتف فإن هذا الهاتف يبقى بالنسبة إليه من الوجود الثانياني ولا يَعْبُرُ إلى الوجود الثالثاني، وذلك لأنه ليس علامة تنوب عن شيء بالنسبة إلى البدوي؛ أي إن البدوي غير قادر على أن يفهم من هذا الهاتف شيئًا.

في حالةِ "لُبَد" –النِّسْر الأسطوري الذي يعيش تسعَمِائةِ عام وذكره الشعراء العرب ومنهم النابغة الذبياني في معلّقته– نرى أن لُبَد لم يظهر في الوجود الثانياني؛ لكن الصفات التي ذكرها الشعراء العرب عنه مستوحاة من موضوعات موجودة في العالم الثانياني، ولأجل هذا أصبح كل مثقّفٍ يقرأ كلمة "لُبَد" قادرًا على تأويلها حسب الخلفية التي عنده عن هذا النسر الأسطوري. ولأجل هذا يمكننا أن نقول إن الموضوع نوعان: ما له وجود في الواقع، وما ليس له وجود في الواقع، ولا تهتم نظرية العلامات إلا بالموضوع الذي يدخل في عملية السيميوزيس، وفي ذلك يقول بيرس: "الوسيط أو العلامة هو أي شيء –وليس بالضرورة أن يكون حقيقيًّا– يُحِيل في الوقت نفسه داخل علاقة مطابقة إلى ثان من ثلاثة، هو موضوعه، وإلى وسيط آخر محتمَل يوجّه إلى مطابقة مع الموضوع نفسه، وهذا الوسيط المحتمل هو تأويل العلامة. ومِن ثَمّ يستلزم فكرة السلسلة التي ليس لها نهاية ممكنة"(Peirce,1902 MS [R] 1147).

يقول بيرس عن الأنواع الثلاثة الرئيسية للعلامات الناتجة عن أنواع الوجود: "ثمّة ثالوث مهم للغاية هو أن هناك ثلاثة أنواع من العلامات التي لا غنى عنها مهما اختلفت الأسباب، الأول هو العلامة المرسومة أو الأيقونة icon، التي تُشْبِه موضوع الخطاب. النوع الثاني هو الإحالة index، وهو مثل الضمير أو الاسم الموصول، يفرض انصراف الذهن إلى الموضوع المخصوص المقصود دون أن يصِفه. والنوع الثالث هو الكُلّي –سواء كان اسمًا أو وصفًا– the general name or description الذي يشير إلى موضوعه من خلال تداعي الأفكار أو الارتباط المعتاد بين الاسم والشخصية المسمَّاة" Peirce,1885 W (5:243).

إن الأيقونة icon أو العلامة المرسومة the diagrammatic sign هي العلامة التي تماثل أو تشابه المشار إليه نحو صورة تشرشل المعبرة عن تشرشل، وأمّا الإحالة index أو المؤشِّر indicator فهي العلامة التي ترتبط مع المحال إليه بعلاقة سببية أو علاقة مبنية على قانون طبيعي نحو الدخان المحِيل إلى النار، وأمّا الرمز symbol فهو العلامة التي ترتبط مع المرموز إليه بعلاقة اجتماعية أو اعتباطية نحو العلامات اللغوية (كوبلي، 2005، ص80–81).

وتتفاوت أنواع العلامة الثلاثة الرئيسية في درجة قدرتها على الاستغناء عن العنصرين الآخرَيْنِ اللذين يشكّلان مع العلامة عملية السيميوزيس، وهما الموضوع object والتأويل interpretant، فالأيقونة icon هي العلامة المشابهة لموضوعها إلى درجة أنه يمكن اعتبار موضوعها حقيقة في الوجود الأولاني وإن لم يُرَ في الوجود الثانياني ولا أُوِّل في الوجود الثالثاني. وأما الإحالة index فهي إفراز من إفرازات موضوعها، وهي تدل على أن موضوعها وصل إلى الوجود الثانياني وأفرزها، ولا يختلف عقلان في تعرُّف موضوعها في حال وجودها [أي في حال وجود الإحالة]، ولأجل هذا فهي ليست محتاجة إلى التأويل؛ لأن التأويل تفسير شخصي يختلف من شخص لشخص. وأما الذي تختلف في تأويله العقول ويفتقر إلى الاصطلاح البشري والعُرْف بين مُبلِّغ العلامة deliverer ومؤوِّلها interpreter فهو النوع الأخير من العلامات symbol. يقول بيرس في شرح كل هذا: ((العلامات

ثلاثة أنواع، الأول هو الأيقونة، وهي تمثل موضوعها تمثيلًا مُغْنِيًا بحكم خِصِّيصة virtue تمتلكها حتى لو كان الموضوع وعملية التأويل لا وجود لهما [في العالم]. والنوع الثاني هو الإحالة، وهي تمثِّل موضوعها بحكم خِصِّيصة لا يمكن أن تمتلكها إذا لم يكن الموضوع موجودًا [في العالم]، ولكنها [مع وجود الموضوع] تمتلك الخصيصة إلى درجة تغنيها عن عملية التأويل الذهنية. ويُفْهَم من كلام بيرس أن التأويل ملكة تميّز الجنس البشري عن الحيوان لأنها تعني فك الرموز التي لا تستطيع الحيوانات فهمها. وهذا على خلاف الأيقونة والإحالة فإن للدماغ الحيواني القدرة على استنتاج الموضوع بهما. والنوع الثالث هو الرمز، وهو يمثِّل موضوعه بحكم خِصِّيصة يحصل عليها من خلال عملية ذهنية. وتُمثِّل الأيقونة موضوعها بقدر ما تُشْبِهُه، فهي لا تنقل معلومات، ولا تضع العقل في وضع يُمكِّنه من اكتساب معلومات. ومع ذلك فإن منظومة الأيقونات مُبَرْهنة بالرسوم البيانية لعلماء الرياضيات، سواء كانت تستلزم السيرورة continuity مثل الأشكال الهندسية geometrical figures، أو كانت مصفوفات من الموضوعات المنفصلة arrays of discrete objects مثل مجموعة من الصيغ الجبرية algebraical formulae، فكلها أيقونات. إن الأيقونات لابد أن تُستعمل في أية عملية تفكير))(Peirce,1900 MS [R] 142:3-4).

من الواضح تأثير المفاهيم المنطقية والفلسفية في تقسيم العلامات وفق أنواع الوجود، فقد ربطها بيرس بفكرة الأجناس والجوهر البسيط في قوله: "تُلْفِت الأجناس الانتباه مباشرةً إلى أن أي شيء يمكن أولًا اعتباره جوهرًا بسيطًا، وثانيًا إلى أنه في علاقة بأشياء أخرى، وثالثًا إلى أنه علامة تشير إلى موضوع بحكم تحديد علامة تأويل أسمّيها تأويلها، ثم إن العلامة تشير بالطريقة نفسها إلى الموضوع"(Peirce,1902 MS [R] 425:116.). وأكثر من هذا وضوحًا أنه ذكر هيجل حين تحدث عن العلامة المفردة –التي سنشرحها لاحقًا– ومن المعلوم أن مذهب المثالية المطلقة (الموضوعية) عند هيجل كما عرضه في كتابه "دائرة معارف العلوم الفلسفية" يرى أن كل الظواهر الطبيعية والاجتماعية تقوم على أساس المطلق (الروح والعقل أو الفكرة المطلقة أو عقل العالم أو روح العالم)، وهو مطلق إيجابي يتألف من الإدراك الذاتي، وتتطور الفكرة المطلقة عبر ثلاثة مستويات: المستوى الأول: تطوُّر الفكرة في قاعها أي في ذواتنا في عنصر التفكير الخالص؛ إذ تَكْشِفُ الفكرة مضمونها في نسق من المقولات المنطقية المترابطة والمتماسكة، وهذا من اختصاص علم المنطق. والمستوى الثاني: تطور الفكرة في الوجود الآخر أي الطبيعة، فهو يرى أن الطبيعة لا تتطور وإنما تعكس التطور الذاتي للمقولات المنطقية، وهذا من اختصاص فلسفة الطبيعة. والمستوى الثالث: تطوُّر الفكرة في الفكر والتاريخ (في الروح)، وهذا من اختصاص فلسفة الروح، وفي هذه المرحلة تحافظ الفكرة على ذاتها وإن كانت تظهر بأشكال مختلفة في النشاط الإنساني (دروا، 2014، ص236).

نفهم من الأقسام الرئيسية للعلامة –التي ذكرناها سابقًا– أنها أقسام لا تخلو منها أية علامة، فكل علامة لابد أن تكون أيقونة أو إحالة أو رمزًا، وذلك لأن العلامة إما أن تكون علاقتها بموضوعها علاقة مشابهة فهي مع موضوعها في وجود أولاني، فهذه العلامة هي الأيقونة. وإما أن تكون علاقة العلامة بموضوعها علاقة سببية تحكُمها قوانين الطبيعة فهي مع موضوعها في وجود ثانياني، فهذه العلامة هي الإحالة. وإما أن تكون علاقة العلامة بموضوعها علاقة اعتباطية من وضع اجتماعي عُرفي فهي مع موضوعها في وجود ثالثاني، فهذه العلامة هي الرمز.

قسّم بيرس الموضوع إلى موضوع مباشر Immediate Object (الموضوع الذي تُحِيل إليه العلامة قبل أن تُقيَّد بتأويل متلقِّيها، مثل موضوع الطقس قبل أن تُشاهِدَ طقسًا بعينه)، وموضوعٍ ديناميكي Dynamical Object (الموضوع الذي يفكر فيه متلقٍّ بعينه حين تأتيه العلامة، وهو موضوع مقيد بظروف مرّ بها هذا المتلقي مثل رؤيته للطقس الغائم قبل أن يذكر له أحد كلمة الطقس) (Peirce, 1909, a site).

وسمّى بيرس الصورة الذهنية وردّة الفعل ممثِّلًا، وجعل له ثلاثة أنواع، أولها الممثل المباشر Immediate Interpretant وهو الذي تقصده العلامة بنفسها؛ أي يمكن التوصُّل إليه بالعلامة وحدها (Peirce, 1906, a site)،

Volume: 4 Issue: 1

فهو علاقة مباشرة بين العلامة والموضوع لا تتأثر باختلاف المؤولين، ولا يصنع وعيًا شخصيًّا، ولأجل ذلك سُمِّي (معنى العلامة) و(الممثلَ الموضوعي)، ومادام يقود إلى الموضوع فهو يساعد على معرفة الغرض من كلام المتكلم دون انتظار تأويل المؤوِّل، فهو يعطي قيمة ذاتية للعلامة، ثم الممثِّل الديناميكي Dynamical interpretant وهو الصورة الذهنية التي تصعد إلى ذهن متلقٍّ بعينه نتيجة ظروف معينة مرّ بها. ثم الممثل النهائي ultimate or final interpretant وهو المحصلة النهائية التي سيقترفها متلقي العلامة، فلو كانت العلامة هي (الجو عاصف) لربما كانت المحصلة النهائية إلغاء النزهة (Peirce, 1909, a site).

المبحث الثالث: سمات الترميز وبُنَاها في رواية شهادة من زمن الحرب:

السمة الأولى: الترميز عبر العلامات اللغوية والعلامات غير اللغوية:

من خلال المبحث السابق عرفنا أن العلامة عند بيرس (شيء ينوب عن موضوع، ويثير في الذهن تأويلًا إذا أخذها المؤوِّل بين الاعتبار، وهي وسيط ينقل المعرفة من المبلِّغ إلى المؤوِّل، ووسيط بين الموضوع والتأويل) وهذا يعني أن العلامة يمكن أن تكون رمزًا symbol (علامة من وضع البشر) سواء كانت لغات أو إشارات تدل على لغة متواضع عليها، ويمكن أن تكون مؤشِّرًا indicator أو أيقونة icon، وهنا يُثار السؤال الآتي: كيف لنا في رواية أن نبحث عن علامات غير لغوية، وكل ما في الرواية كلمات من لغة متواضع عليها؟ والجواب أن ثمة فرقًا بين مستوى السرد narrative ومستوى الخطاب discourse، فمستوى السرد هو علاقة الشخصية بسائر الشخصيات، فالشخصية (أ) يمكن أن توحي إلى الشخصية (ب) بعلامة غير لغوية فتفهم المراد منها، وأما مستوى الخطاب فهو العلاقة بين الكاتب والقارئ، وهي علاقة تقتضي أن يفهم القارئ مراد الكاتب من خلال علامات لغوية فقط هي الكلمات والجمل المسطّرة في روايته.

فمن أمثلة العلامات اللغوية التي جرت بين الشخصيات ما سمعه ماجد من "قفشات أبو سليم اللبناني (صاحب المقهى) وهو يتغزل بمفاتن نادلته السويدية المغناج أنجي" (العريمي، 2015، ص18)، ومن الواضح أن ماجد قد فهم من هذه العلامة اللغوية مسكوتًا عنه هو أن المدير إنما اختار هذه النادلة متعمِّدًا لتكون عامل جذب لزبائنه، ومدخلًا آخر للتكسب منها عبر علاقات جنسية ستقيمها مع الزبائن، وهو ما يفسِّر قول ماجد في موضع آخر بعد أن أنقذ شابًّا عربيًّا من الموت، وطلب له سيارة إسعاف، وعاد إلى شقته: "فافترشَتْ ابتسامةُ الرضا ثغري، وطغت على وجهي بشاشة رافقتني إلى سريري الذي سبقتني إليه أنجي المغناج" (السابق).

ومن أمثلة العلامات غير اللغوية تمييز ماجد لصعاليك جورج أورويل من خلال مشاهدته لنحولة أجسادهم، وبحثِهم عن نفايات المحلات التجارية، "فهم يُدَفِّئون أجسادهم الهزيلة على نار يُضرمونها من ورق الجرائد، وكراتينِ نفايات الأبواب الخلفية للمحلات التجارية" (السابق)، فهذا السلوك منهم غير اللغوي كان علامة غير لغوية قادته إلى معنى اقتضائي هو اعتبارهم صعاليك.

إن التبئير الداخلي الذي أسنده محمد العريمي إلى شخصية ماجد جعل تأويل العلامات اللغوية وغير اللغوية في روايته إنما يكون من طرف ماجد غالبًا، إلا في الفقرات التي كُتِبَت بخط مائل فإنها مروية بلسان ابن أخته العبد بن سالم. والمقصود بالتبئير الداخلي أن تكون جلّ القصة على لسان إحدى شخصياتها بحيث لا نجد غالبًا أثرًا للكاتب (القاضي، 2010، ص49-50).

السمة الثانية: تحوّل الأفكار إلى علامات تؤدي وظيفة الترميز:

الأصل أن العلامة -كما يذكر بيرس- شيء مادي سواء كانت صوتًا مسموعًا، أو كلمة مكتوبة، أو أي شيء محسوس، ويسميها السمة material quality للعلامة، ولكنه مع ذلك يُجوِّز أن تتحول الأفكار -وهي أمور معنوية ذهنية- والموضوعات غير المحسوسة -مثل الكهرباء- إلى علامات؛ إذا أدّت وظيفة النيابة representing.

بعد إعلان الرئيس الأمريكي بوش الابن الحرب على الإرهاب وأفغانستان صارح ياسين ماجدًا بأنه ينتمي إلى جمعية خيرية لمساعدة ضحايا الحرب من المدنيين في أفغانستان، وعبارته هذه جعلت ماجدًا يستدعي الصور الذهنية التي يحفظها عن طرائق ياسين للتقرب إليه، وكانت هذه الأفكار علامة لغوية قادت ماجدًا إلى أن يستنتج أمرًا ما فسأل ياسين عنه، يقول ماجد: "كنت منهمكًا أراجع دروسي عندما فتحت باب شقتي على وجه ياسين وبيده حقيبة سفر... قال وهو يتنهد متعبًا... أنا ناشط في جمعية خيرية إسلامية، وقد كُلِّفْتُ من قبل إدارتها بتنسيق جانب من عمليات وجهود الإغاثة في أفغانستان... وبسرعة أعدتُ

Volume: 4 Issue: 1

شريط علاقتي بياسين منذ بداية تعرفي عليه، وسعيه للتقرب مني أكثر دون أصدقائه الثلاثة، فسألته: هل مهمتك المكلف بها لدعوة متطوعين جُدُد للانضمام إلى الجمعية أمْلَتْها الظروف الحالية؟" (العريمي، 2015، ص33-34).

وكاد ماجد أن يرفض الانجراف خلف دعوة ياسين لولا أن الأفكار مرت أخرى دفعته إلى استنتاج إيجابي نحو نوايا ياسين: "أعدتُ التفكير في موقفي من ياسين، فقد كان الرجل خير صديق، وعلاقتي به –على قصر المدة– أبعدتني عن حياة اللهو التي كنت أعيشها" (السابق، ص35).

والواضح من هذه الأمثلة أن تحوّل الفكرة إلى علامة في الرواية ترمز إلى معنى اقتضائي إنما يحصل في مواضع المونولوج النفسي حين تخلو الشخصية بنفسها أو ينتقل صوتها من مخاطبة العالم الخارجي إلى محاورة ذاتها.

السمة الثالثة: تأويل العلامة مرهون بالمعرفة المشتركة بين المبلِّغ والمؤوِّل:

يذكر بيرس أن العلامة وسيط representamen ينقل إدراكًا من مُبلِّغِها deliverer إلى مؤوِّلِ interpreter يَحْمِلُ هذا الإدراكَ نفسَه المربوطَ بهذه العلامة، وهذا يعني أن بينهما معرفة مشتركة لما تعنيه هذه العلامة، ويسمّي بيرس هذه المعرفة المشتركة: خلفية الوسيط the ground of the representamen، ويشترط في تحقُّق التأويل أن يأخذ المؤوِّلُ العلامةَ بعين الاعتبار respect، وأن تكون له القدرة capacity على فهمها. وعندما يشترك مؤوِّلان في معرفة المعنى الحرفي للعلامة لكن أحدهما هو القادر على فهم معناها الاقتضائي بسبب الخلفية المعرفية التي بينه وبين المبلِّغ– تتولد عملية الترميز.

إن الطبيعة العسكرية لهذه الرواية، ومشاهدها الحربية، وطرائقها الاستخباراتية– جعلها أرضًا خصبة للرموز التي لا يفهمها إلا المتواطئون على تأويلاتها الخاصة التي لا يريدون لغرمائهم أن يدركوها. ومن هذه الرموز "سعد العشيرة" فهو الاسم الجهادي لماجد بين زملائه في جيش الخلاص بأفغانستان، ورد ذكره أول مرة في الفصل الثالث "جيش الخلاص" (السابق، ص47).

بعدما قِيدَ ماجد مكبّلًا بأغلال اليدين والقدمين بوساطة سام الأمريكي وشوكت الباكستاني وعبده اللبناني أدخلوه على رجلين يرتديان ملابس غربية، فغضب أحد الرجلين من مظهر الأصفاد وطلب من سام بِحِدّة أن يفك الأصفاد، لكن سام زعم أنه ينفذ الإجراءات، فطلب الرجل أن يتصل سام برئيسه؛ لكن سام رفض، فغضب الرجل الثاني ورفع سمّاعة الهاتف ورماها في وجه سام مكرِّرًا طلب زميله بأن يتصل سام برئيسه، فأمر سام شوكت وعبده بأن يفكّا أصفاد ماجد، وقال للرجلين " You have 30 minutes only" (السابق، ص190-191)، هذه العبارة الأخيرة لا يعرف ماجد كنهها، وكل ما يفهمه هو والقارئ منها أن الرجلين اتفقا مع سام على أن يمنحهما فرصة للتثبت من أمر ما بعد التحقيق مع ماجد، وبناء عليه سَيَجري تفاوض بينهما وبين سام لإطلاق سراح ماجد بناء على اكتشاف هذا الأمر من عدمه، فتلك العبارة التي قالها سام للرجلين علامة لا يدرك معناها ماجد؛ لأنها مبنية على موضوع تواطأ سام والرجلان على إخفائه عن ماجد.

السمة الرابعة: تفاوت الأنواع الرئيسية للعلامة في قدراتها الترميزية:

حسب تقسيم بيرس للعلامة من حيث أنواع الوجود إلى أيقونة ومؤشر ورمز يتضح أن كل الناس قادرون على فهم الأيقونة لأنها تشبه موضوعها، وأن كل إنسان يعرف الآثار التي يخلّفها موضوع ما –مثل الآثار التي يخلّفها السلطعون على رمال الشاطئ– فإنه قادر على استنتاج الموضوع برؤية آثاره، وأما الرمز؛ فلأنه من وضع البشر؛ فإنه لا يمكن للمرء تأويلها إلا إذا كان من المجموعة التي تواطأت على دلالة الرمز على مفهوم معين.

والسؤال المهم المتعلق بالترميز: هل يمكن أن نجد من كل نوع من أنواع العلامات الرئيسية ما يؤدي دور الترميز أي الإحالة إلى معنى اقتضائي؟ وفي الإجابة عن هذا السؤال سنقتصر على نوعين: الأيقونة والمؤشِّر؛ لأن المعنى الاقتضائي من الرمز مثّلنا له في السمات السابقة.

ومن المؤشِّرات الترميزية الواردة في الرواية الشقة الفاخرة التي كان يسكنها ماجد في أحد المجامع السكنية، فقد استنتجت السويدية أنجي من هذا المؤشر أن ماجدًا شاب ثريّ، وهذا هو المعنى المباشر الذي يمكن أن يتوصل إليه كل من يعرف نوع الأثاث الثمين، ولكن السويدية لم تكتف بهذا المعنى المباشر بل قادها هذا إلى الوقوع في علاقة غرامية مع ماجد "فهمست له صباح اليوم التالي –وهي تفرك بشفتيها الطريتين حَلَمة أذنه– (أحبّك)" (السابق، ص20).

ومن الأيقونات الترميزية العربات المموّهة التي وضعها جيش الخلاص في شمال كابل، وخارطة كابل التي رُسِم فيها خط أحمر يساعد الطاقم الطبي في جيش الخلاص –ومنهم ماجد– في الوصول إلى البيت المستأجر على أنه عيادة جيش الخلاص، فهذه الأيقونات –وإن كانت تدل على موضوعات مباشرة هي إحالة العربات المموّهة إلى عربات الجيوش في نظر قوات التحالف (أمريكا والناتو)، وإحالة الخارطة إلى مدينة بابل– فقد استنتج منها ماجد –مع قرائن أخرى– أن المنتمين إلى جمعية الخلاص ليسوا فرقة حراسة مساندة لجيش طالبان وداعمة له لوجستيًّا فقط؛ بل "بدا لي جيش الخلاص أكثر انتظامًا عن كونه فرق حراسة مسلحة، فقد كان أفراده منظَّمين ومنضبطين، ويتمتعون بقدرات بدنية وقتالية عالية" (السابق، ص69، 72).

السمة الخامسة: المباشر والديناميكي والنهائي:

قسّم بيرس الموضوع إلى:

1. موضوع مباشر Immediate Object هو الموضوع قبل ربطه بموقف معين رآه مؤوِّل معين، وموضوعٍ ديناميكي Dynamical Object هو مصداق من مصاديق الموضوع رآه مؤوِّل معين، ومثال هذا أن الطاولة عندما تكون موضوعًا في الطبيعة نجد لها أحجامًا متعدِّدة، وألوانًا مختلفة، وأسعارًا متفاوتة، ومواد مكوِّنةً لها متباينة، فالطاولة في هذه الهيئات تُعَدّ موضوعًا مباشرًا يمكن أن يتخيل هيئاتها معظم الناس. ومثال هذا من الرواية قول ماجد عن صواريخ أمريكا على كابل: "كانت الصواريخ العابرة للبحار تتحرك في السماء كالشهب في سيرها الحثيث لتدمير مَجْمَع حكومي أو مخازن أسلحة أو تجمعات عسكرية، أو تُسوِّي بالأرض منزلًا على رؤوس سُكّانه" (السابق، ص80)، فماجد وزملاؤه يتخيلون ما يشاؤون من أنواع المباني التي يسمعون دويّ انهيارها إثر كل قصف أمريكي؛ فهم لا يمكن أن يخاطروا بالخروج لحظات القصف.
2. ولكن الطاولة التي تقابل زيدًا الواقف عند مقهى على شاطئ بحر ستُعدَّ موضوعًا ديناميكيًّا سينصرف إليه ذهنه عندما يقول له زميله "دعنا نجلس إلى هذه الطاولة"، فالألف واللام في الطاولة هنا تصنع اسمًا معرفة بأل العهدية الحسية. ومثال هذا في الرواية أن المحقق الباكستاني شوكت لم يشاهد جيش الخلاص في أفغانستان، وإنما وردته معلومات عنه من الاستخبارات الأمريكية، فما يبدو عليه جيش الخلاص في الواقع الطبيعي عند شوكت هو موضوع مباشر. وعندما طلب من ماجد بعد إلقاء القبض عليه هو وزملاؤه متسلّلين إلى باكستان أن يتحدث عن سيرته بالتفصيل، تكلم ماجد عن حياته في لندن، ودوره الإسعافي لنجدة ضحايا الحرب المدنيين، ولم يذكر علاقته بجيش الخلاص لعلمه أن الباكستانيين والأمريكان سيعذّبونه بذنب الانتساب إلى جيش الخلاص، فقال له شوكت: "أراك لم تقل شيئًا عن جيش الخلاص!" (السابق، ص170)، فالعلامة "جيش الخلاص" تقود شوكت إلى موضوع مباشر، وتقود ماجدًا إلى موضوع ديناميكي هو حقيقة جيش الخلاص في أرض الواقع.

وقسّم بيرس التأويل من حيث علاقته بالمعنيين الحرفي والاقتضائي إلى:

1. تأويل مباشر هو الصورة الذهنية لجنس الشيء قبل رؤيته على أرض الواقع.
2. وتأويل ديناميكي هو الصورة الذهنية عن الشيء بعد رؤيته في أرض الواقع، فالمؤوِّل بعيد عن هذا الشيء الآن لكن صورته الذهنية تحتفظ بتفصيلاته.
3. وتأويل نهائي، هو ردة فعل المخاطب بعد أن يستمع أو يرى علامة الشيء.

Volume: 4 Issue: 1

ويمكن التمثيل لهذه الأنواع بأن صورة جيش الخلاص في ذهن شوكت هي تأويل مباشر، وصورة الجيش في ذهن ماجد تأويل ديناميكي، وردة فعل ماجد –وهي إنكار علاقته بجيش الخلاص– بعد أن سأله شوكت عن جيش الخلاص هي تأويل نهائي.

ومن خلال هذه الأقسام الخاصة بالموضوع والتأويل ندرك أن الديناميكي والنهائي هما النابجان عن عملية الترميز؛ لأنهما يدلان على موضوع خاص أو تأويل خاص لا يُدْرِكُه إلا مَن عايشه، وهذه هي سمة الترميز: اختصاص المعنى والموضوع بمؤوِّل معين.

المصادر والمراجع العربية:

تودوروف، تزفيتان، الرمزية والتأويل، ترجمة: إسماعيل الكفري، دار نينوى، ط1: 2017.

دروا، روجيه بول، فقه الفلسفة، ترجمة: فاروق الحميد، دار الفرقد، دمشق، 2014.

العريمي، محمد عيد، شهادة من زمن الحرب"، بيت الغشام، مسقط، ط1: 2015.

القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، الطبعة الأولى، دار محمد علي، تونس، 1: 2010.

كوبلي: بول، دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات، ترجمة: هبة شندب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.

المراجع الإنجليزية:

First: **Charles Sanders Peirce researches within the site "Stanford Encyclopedia of philosophy Peirce's theory of signs"**:

1868 | Some Consequences of Four Incapacities | W 2:223.

1873 | On the nature of signs | W 3:66–8.

1873 | Logic. Chap. 5th | W 3:76; CP 7.355–6.

1885 | One, Two, Three: Fundamental Categories of Thought and of Nature | W 5:243.

1894 | The Art of Reasoning. Chapter II. What is a Sign? | EP 2:5; MS [R] 1009.

1895 [c.] | On the Logic of Quantity, and especially of Infinity | MS [R] 16:12; PM 52.

1895 | Short Logic: Chapter I. Of Reasoning in General | EP 2:13.

1897 [c.] | On Signs [R] | CP 2.228.

1893–5 [c.] | Chapter II: The Categories | NEM 4:309–10; CP 1.339

1899–1900 [c.] | Notes on Topical Geometry | MS [R] 142:3.

1901–1902 [c.] | Definitions for Baldwin's Dictionary [R] | MS [R] 1147

1902 [c.] | Reason's Rules | MS [R] 599:28–36, within the site.

1902 | Minute Logic: Chapter I. Intended Characters of this Treatise | MS [R] 425:116.

Second: **Charles Sanders Peirce researches within the site "iass-ais.org/the-commens-dictionary-of-peirces-terms"**:

Letters to William James, 1909.

On the system of existential graphs considered as instrument for the investigation of logic, 1906.